١٥ ايار سنة ١٩٥٨

فلسطين في تفكير ميشال شيحا

*****

(نص الحديث الذي القاه الاستاذ ميشال اسمر ، مؤسس الندوة اللبنانية ، مساء الخميس ١٥ ايار ١٩٥٨ ، لمناسبة اسبوع فلسطين في دار الاذاعة اللبنانية) ٠ــ

" فلسطين " ، هي اليوم عقدة العقد ، تشغل الخواطر من الشرق الى الغرب في عمق المأساة ، وتستثير نشاط العقل في انتفاضات كيانية ، كلما تبحث عن حل المعضلة ٠ ولا نغالي اذا قلنا ان وراء جميع الازمات في هذا الشرق العربي تكمن الدملة التي انتعلتها دولة اسرائيل وغذى تضخمها قيام هذه الدولة على الارض الفلسطينية ٠ــ

ولبنان الذي انيست عبر تاريخه الطويل المجيد ، البصائر النيرة تدرك كنه الامور وتستبق في نظرها الثاقب الملهم تطوراتها ومدى تأثيرها ، كان في هذه المرة ايضا ، حيال البدعة الاسرائيلية ، سباقا في التصور والحدس والتعقل ٠ فكان من بين ابنائه الميامين واحد صرف لمعالجة القضية الفلسطينية جل تفكيره وعصارة جهده ٠ــ

هذا الواحد من لبنان هو ميشال شيحا ٠ منذ عام ١٩٤٤ اشار شيحا في احدى افتتاحيات جريدته " لو جور " الى "ان هذه المساحات من الاراضي بين البحر الابيض المتوسط والبحر الميت ، وبين الصحراء ومنحدرات لبنان الاولى ، تثير ، لاسباب مختلفة ، اهتمام نصف البشرية" ٠ ثم راح مفكرنا الكبير يحيط هذه القضية اهتمامه الكامل ويراقب تطورات ما دعاه " بالمأساة الكلاسيكية " ٠ ثم يضيف " انه يجب على اللبنانيين ان يتذكروا اكثر فاكثر ان فلسطين متاخمة للبنان في الجنوب ، وان لبنان ، في هذا الاتجاه ، كما في غيره في حاجة الى جميع اراضيه ، والى آخر سنبلة وآخر زيتونة "٠ــ

وتتتابع مقالاته حول القضية بدون وهن او ملل ٠ وكأنه لمس عجز الراي العام حوله وبعيدا عنه في المحافل السياسية عن ادراك خطورة الامر ، وتعجب هذا الراي العام من استرسال مفكرنا في معالجة هذا الامر ، فيقول في ايار ١٩٤٨ : " نأمل الا يعجب الناس من عودتنا باستمرار الى معالجة القضية الفلسطينية ٠ فبين الشؤون التي تهم الشعب اللبناني ، المجاور لفلسطين اليهودية ، ما من امر اهم من قضية فلسطين " ٠ ثم يأخذه العجب من السطحية التي يعالج بها الاخوان العرب هذه القضية ، فيستحثهم حكاما وشعوبا الى الالمام بتفاصيلها

٠٠٠/٠٠٠

رابطا جذورهما بالحوادث التاريخية مستعرضا ملابساتها جميعا ، لافتا الى ان الخطر الاسرائيلي هو بين جميع الاخطار اشدها عليهم واعنفها ٠-

وفي حزيران ١٩٤٨ ، اى بعد قيام دولة اسرائيل وحصول الهدنة المجرمة بين العرب والاسرائيليين ، نقرأه يذهب الى " ان المستقبل سيبيّن بوضوح الخطر الذى يمثله هذا العمل للسلم في العالم" ثم يلاحظ "ان سياسة الزمن الحاضر تقوم على خفة مدهشة ولا سيما عند الدول الكبرى ٠-

اذ ان هذه الدول ، بحجة الحفاظ على السلم ~~الـ~~ المؤقت ، اى الهدنة ، تعرّض لاكبر الاخطار السلم الطويل الدائم ٠ وسيظهر ذلك جليا في السنوات المقبلة " ٠-

وتمر بعض الاسابيع ، فيستولي الكبر على الدول الكبرى وغيرها وينحصر شعورها بكون المشكلة الفلسطينية ثقلا عليها وعبئا ٠ ويضمحل احساسها بان ما جرى هو ظلم فاضح يشق صراخه كبد السماء ٠-

وفي ساعة يأس من العدالة ، نسمعه يصرخ : " انها لنهاية كل شيء ، انه حقا لافلاس الحضارة "٠-

ويأسف لكون البلدان الغربية وقد نهبت لمغبة التصرف الاسرائيلي منذ عدة سنوات ، صمّت الاذان عن التوصيات الملحة ٠ فكأنّ نداءات الواعين المخلصين كانت صراخا في الصحراء ٠-

وان تتبع ميشال شيحا لتطورات القضية لم ينحصر في مكان او زمان ٠-

فلقد رافق جميع ما كان يحصل لها ويقال فيها ، متبنيا تصريحا هنا ، مشجعا تصرفا هناك ، لافتا الى راى محترم في مجلة او جريدة ، منبها اللجان المعينة للاستطلاع والاستكشاف الى جميع الملابسات والوقائع ٠-

ففي تشرين الاول ١٩٤٨ علق على تصريح لرياض الصلح في مؤتمر الصحافة الاوروبية الاميركية بباريس مهنئا الرئيس الصلح على بيانه امام هؤلاء الاجانب حول فلسطين ٠ وفي كانون الاول ١٩٥٠ يعجب كيف ان الدول الكبرى في الامم المتحدة هبّت لنجدة كوريا واهملت نجدة الحق والعدالة في فلسطين ٠-

ثم يسعى في ايار ١٩٥٣ الى ان يفهم الغرب ، بما كان لاقواله من وزن ، ان خطر الحرب للعرب انما يتمثل في اسرائيل لا في روسيا ٠-

.../...

وتتعاقب اخبار المؤتمرات واللجان ، فتترى مقالات ميشال شيحا حول كل شيء ، وصوته صوت المنطق والعدالة والاتزان ٠ـ

ثم يداهمه المرض في اواخر كانون الاول عام ١٩٥٤ فينقطع عن الكتابة ، وفي ساعة هدأة قبل وفاته ببضعة ايام ، يتناول قلمه ويخط مقالا كان بين آخر ما كتب يشير فيه الى ان الخطر الاسرائيلي يمنع على العرب النوم ٠ـ

وتفيض روحه وهو في صميم المعركة ٠ـ

وفي مطلع هذا العام نشطت هم رائدي تفكير ميشال شيحا ، فانصرفت المؤسسة التي تحمل اسمه الى طبع مجموعة مقالاته ونشرها في كتاب حمل اسم "فلسطين" ، يضم بين دفتيه القسم الاكبر مما كتبه مفكرنا طوال خمس عشرة سنة حول هذا الموضوع ٠ـ

****

نشعر ان حديثنا هذا يبعد عن ان يوفّي ميشال شيحا حقه في مساهمته الكبرى بمعالجة القضية الفلسطينية ٠ انما رغبنا هنا في الاشارة الى نضال هذا المفكر اللبناني في سبيل ايقاظ الراي العام اللبناني والعربي والعالمي ووضعه امام مسؤولياته التاريخية ٠ فمفكرنا كان يقول بان قيام دولة اسرائيل سياسيا قد يدأ عصرا جديدا ٠ فاصر ناجح بالمحافل السياسية والادبية في العالم ان تجعل القضية الفلسطينية شغلها الشاغل ، وان ترفعها الى اعلى مستوى في سبيل اعادة الحق الى نصابه ٠ـ

ونود لو ننهي حديثنا بهذا القول لمفكرنا الكبير :

" عندما لا يكون هناك ادنى شك في ان اسرائيل لن تترك فرصة تفوتها ،
" ولن تتورع عن اي عنف للعودة الى ارض الاسباط الاثني عشر او ارض الملوك ،
" كيف يمكن السلم مع اسرائيل ؟

" فلو تم الارتقاء الى المستوى الاعلى ، مستوى النصرانية والاسلام بكاملهما ، مستوى العالم " العربي ، مستوى الكرسي الرسولي ، مستوى ايزنهاور ، ولو شاء الجميع ان يتبصروا بصفاء "مستقبل اليهود في العالم ، فما لا شك فيه انهم يتخذون القرارات التي لا مفر منها : ضمان " الحدود العربية ضمانا دوليا وتعاقديا ، مع تدويل القدس" ٠ـ